شعبنا اليوم أكثر إصراراً وعزيمةً على التواصل مع أمجاد حضارته وإشراقات تاريخه والتفاعل الخلاق مع المتغيرات والتطورات المذهلة في هذا العصر

علي عبدالله صالح
رئيس الجمهورية

الحوار مع الآخر.. عيد اكتشاف العالم

شهدت عواصم عربية وأجنبية - وآخرها كوبنهاجن - ملتقيات للحوار الفكري شارك فيها عدد من المفكرين والمثقفين ورجال الدين الذين يمثلون مختلف الأديان والمذاهب الدينية ، إلى جانب نظراء لهم من بلدانٍ وأديان أخرى.. حيث تناول المشاركون في هذه الملتقيات بالنقاش والبحث هموماً إنسانية مشتركة ذات أبعادٍ إنسانية ودينية وفكرية وثقافية.

أحمد الحبيشي

والحال أنّ الاختلاف في العقائد الدينية والتوجهات السياسية والرؤى الفكرية والانتماءات العرقية لم يكن عائقاً أمام الحوار في هذه الملتقيات التي استهدفت إبراز وتعزيز القيم الإنسانية المشتركة للحضارة المعاصرة التي تشارك البشرية - بمختلف أعراقها وأديانها وثقافاتها - في صنعها واستهلاك منجزاتها . وقد اسهمت المناقشات التي احتوتها هذه الملتقيات في اكتشاف أولوية القيم الإنسانية التي تُعد إرثاً مشتركاً للبشرية ، بقدر ما سلطت الضوء أيضاً على خطورة النزعات العقائدية الجامدة التي تقسم العالم الإنساني بين ثنائيات متضادة تسعى إلى إلغاء الآخر من خلال توزيع البشر في خانات مطلقة مثل الخير والشر.. البربرية والتحضر.. الإيمان والكفر.. مع أو ضد.. الخ.

> في مجرى حركات التحرر الوطني العربية والعالمية اتحد مناضلون من مختلف الأديان والإثنيات دفاعاً عن الحق المشروع في مقاومة الاحتلال وانتزاع الحرية والاستقلال.. وكان العدو في تلك المعارك هو الاستعمار لا الشعوب في بلدان (المتروبول)، حيث كانت الدول الاستعمارية تواجه في داخلها معارضة القوى الحية ممثلة بالنقابات والأحزاب العمالية والمنظمات الحقوقية وحركات السلام والتضامن الأممي.

منذ زمن بعيد كان الإبداع الحضاري للبشرية محوراً لوحدة وتكامل العالم الإنساني، ولم يكن بوسع الحروب الدينية والإقطاعية والعرقية والاستعمارية التي أنهكت البشرية ، أن تحول دون أن يتخذ التاريخ الإنساني مساراً تعددياً تتلاقح فيه الحضارات والثقافات لكافة الأمم والشعوب، على نحو يفرز وحدة وتكامل العالم الواقعي الذي أضافت إليه منجزات الحضارة الحديثة وفتوحات العلوم والتكنولوجيا أبعاداً إنسانية عميقة لم يعُد بالإمكان تجاهل تأثيرها المباشر على مصير الحياة والحضارة في هذا الكوكب.

من نافل القول إن العقل الإنساني كان يعيد اكتشاف العالم في العصور التي هيمنت فيها حروب التوسع، وهيمنت على ثقافاتها تصورات نمطية انقسم العالم بموجبها إلى ساحات متحاربة، إذ برزت حاجة الحضارات -آنذاك -إلى مناطق آمنة تحكمها عهود ومواثيق سلمية بين القوى المتصارعة.

وحين وصلت مسيرة التطور الحضاري للبشرية ذروتها بازدهار الكشوفات الجغرافية والبحوث العلمية وانطلاق الثورة الصناعية وميلاد الرأسمالية، أفرزت الحضارة الحديثة معاهدة (وينسفاليا) عام ١٦٤٨م التي وضعت نهاية للغزو التوسعي، وأقرت مبدأ سيادة الدول على حدودها وأراضيها ومياهها ومواطنيها، ثم تطورت هذه المعاهدة عبر عملية تاريخية استغرقت ثلاثة قرون إلى صيغة معاصرة أكثر نضجاً، تمثلت بتأسيس عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى، وصولاً إلى التوقيع على ميثاق الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

صحيح أنّ الحضارة الرأسمالية المعاصرة لم تخلُ من تشوهات ألحقت ضرراً جسيماً بحياة البشرية من خلال حروب التوسع الاستعماري في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، حتى ظهور النازية العنصرية التي فجرت الحرب العالمية الثانية وأزهقت حياة أكثر من عشرين مليون إنسان، بيد أنّ مقاومة الشعوب لهذه الحروب لم تكن تستهدف تقسيم العالم وتمزيق وحدة البشرية ، بل أنها استهدفت حماية الحضارة البشرية المعاصرة من مخاطر الثنائيات المتضادة التي تتعارض مع وحدة وتكامل العالم الإنساني.

تجلى ذلك بوضوح في حروب الاستقلال التي خاضتها حركات التحرر الوطني ضد الاستعمار.. فلم يكن هناك مجال لإضفاء الطابع الديني أو العرقي على تلك الحروب العادلة التي خاضتها الشعوب المستعمرة ضد الغزاة وقوات الاحتلال، وقد توحد في مجرى حركات التحرر الوطني والعالمية مناضلون من مختلف الأديان والإثنيات دفاعاً عن الحق المشروع في مقاومة الاحتلال وانتزاع الحرية والاستقلال.. وكان العدو في تلك المعارك هو الاستعمار لا الشعوب في بلدان (المتروبول)، حيث كانت الدول الاستعمارية تواجه في داخلها معارضة القوى الحية ممثلة بالنقابات والأحزاب العمالية والمنظمات الحقوقية وحركات السلام والتضامن الأممي.

كانت الشعوب المناضلة من أجل الحرية تقاتل من أجل دحر الاستعمار، وتحاور في الوقت نفسه شعوب الدول الاستعمارية بلغة القيم الإنسانية المشتركة للحضارة المعاصرة، وفي مقدمتها قيم الحرية والمساواة والعدالة والسيادة والسلام.. وكان من أهم عناصر القوة في نضال حركات التحرر الوطني العربية والعالمية أنّها لم تلجأ إلى تعويم الصراع وتجريده من مضمونه التحرري الحقيقي، حيث حرصت منذ البدء على عدم وضع حكومات الدول الاستعمارية وشعوبها في خانة واحدة انطلاقاً من توصيف ديني أو عرقي للصراع ، على غرار ما يفعله تنظيم "القاعدة" والجماعات المتطرفة هذه الأيام، الأمر الذي كان سيؤدي إلى عزل وإضعاف حركات التحرر الوطني وحرمانها من دعم وتضامن القوى والشعوب المحبة للحرية في العالم، بقدر ما كان سيضعف في الوقت نفسه الوحدة الوطنية للشعوب المناضلة ضد الاستعمار والتي كانت تضم طوائف متعددة الأديان والأعراق والثقافات.

هكذا تعززت القيم المشتركة للشعوب المناضلة ضد الاستعمار والقوى الحية للشعوب التي تعارض السياسات الاستعمارية لحكوماتها في دول (المتروبول).. وعلى قاعدة هذه القيم أمكن للدول المستقلة عن الاستعمار أن تنضم إلى عضوية المجتمع الدولي وتنخرط في التنمية الاقتصادية والإنسانية، وتتطلع إلى المشاركة في صنع الحضارة وبناء عالم خال من الحروب بعيداً عن الثنائيات المتضادة.

> منذ زمنٍ بعيد كان الإبداع الحضاري للبشرية محوراً لوحدة وتكامل العالم الإنساني، ولم يكن بوسع الحروب الدينية والإقطاعية والعرقية والاستعمارية التي أنهكت البشرية ، أن تحول دون أن يتخذ التاريخ الإنساني مساراً تعددياً تتلاقح فيه الحضارات والثقافات لكافة الأمم والشعوب

لا ريب في أنّ الحرب العالمية الثانية أفرزت نوعاً من الثنائية المتضادة من خلال وجود معسكرين دوليين انقسم العالم تحت تأثيرهما إلى عالمين مفترضين (اشتراكي ورأسمالي).. غير أنّ هذه الثنائية لم تصمد أمام الوجهة العامة لتطور الحضارة المعاصرة باتجاه صياغة عالم متكامل يستحيل تقسيمه انطلاقاً من فرضيات أيديولوجية مطلقة.

ومما له دلالة أن يتم انهيار المنظومة الاشتراكية الدولية بدون حرب، إذ كان للقيم الإنسانية المشتركة دور حاسم في وضع نهاية سلمية لتلك الثنائية المفترضة، والتي قسمت العالم إلى شطرين، الأمر الذي يفسر انتشار رياح الديمقراطية وانعتاق المجتمع المدني في العالم بأسره، بعد أن أدت الحرب الباردة والاستقطابات السياسية والآيديولوجية بين شطري العالم (الاشتراكي والرأسمالي) إلى إلحاق المجتمع المدني بسلطة الدولة ومصادرته بدواعي مناهضة الرأسمالية أو الشيوعية على حدٍ سواء!!

بعد عقد ونيف من انتهاء واختفاء ثنائية تقسيم العالم بين نطاق اشتراكي وآخر رأسمالي تواجه الحضارة المعاصرة تحدياً طارئاً بسبب انبعاث بعض التصورات الموروثة عن العصور الوسطى ورواسب الحرب الباردة في العصر الحديث، حيث تسعى هذه التصورات البالية إلى مصادرة القيم الإنسانية المشتركة، وإلغاء التعددية ونشر الأوهام حول إمكانية تقسيم العالم إلى فسطاط إسلام وفسطاط كفر، أو قوى الخير وقوى الشر، ومحاولة تجويف الحضارة الحديثة من خلال نشر الأفكار التي تنفي وحدة وتكامل العالم، وتروّج للحروب الدينية وصدام الحضارات والاستحلال الحضاري، وتدق طبول الجهاد المقدس تحت بيارقَ مختلفةٍ وفرضيات جامدة.

على قاعدة القيم الإنسانية المشتركة يكون الحوار بين الشعوب والأمم والثقافات والحضارات.. ومن خلال الحوار يتحقق التضامن في مواجهة التحديات التي تواجه وحدة العالم ومصير الحياة ومستقبل البشرية.

تكمن قوة القيم الإنسانية المشتركة في قدرتها على توليد الحوار والتضامن إزاء المشكلات التي تهدد الحياة والطبيعة والحضارة في هذا الكوكب.. وثمة تجليات ساطعة لهذه القيم في الحركات الاجتماعية التي تناهض الإرهاب والتطرف والحروب والفقر واستنزاف الطبيعة وتلويث البيئة في مختلف قارات العالم.

ولما كان الحوار لازماً للديمقراطية التي غدت تشكل اتجاهاً عالمياً للتطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للبشرية المعاصرة في هذه الحقبة التاريخية من عصرنا، فإنّ ممارسة الحوار من قبل الفاعليات الدينية والفكرية والأدبية والسياسية على نحو ما جرى ويجري في العديد من الملتقيات التي يتحاور فيها ممثلون للأديان والتيارات السياسية والفكرية والمتنوعة، ستؤدي بالضرورة إلى توليد المزيد من الحوافز لعمليات التجديد الديمقراطي للنظام العالمي الذي يواجه مخاطر جدية بتأثير نزعات الهيمنة والتسلط الرامية إلى فرض سيطرة أحادية على مصائر الدول والشعوب، وتحويل مخرجات الحضارة الحديثة إلى عملية لا نهائية تهدف إلى زيادة وتائر السيطرة والتحكم بمصير العالم، وما يترتب على ذلك من مخاطر جدية تدفع بالقيم الإنسانية المشتركة والعلاقات بين الدول والأمم والمجتمعات إلى مصير مجهول، وتحول دون توظيف المعارف البشرية من أجل ضبط العلاقة بين الناس والطبيعة من جهة، وصياغة معايير تعددية ومتحضرة لمستقبل الحياة والحضارة من جهةٍ أخرى.

نقلاً عن صحيفة / «26 سبتمبر»

الصعود إلى الهاوية برعاية أمريكية

كمال غبريال *

عندما تعترف الآنسة كوندوليزا رايس بارتكاب الإدارة الأمريكية لآلاف الأخطاء في العراق، فإنها تكون قد جهلت أو تجاهلت آلاف الخطايا - وليس مجرد الأخطاء - ارتكبتها الإدارة الأمريكية في حق منطقة الشرق الكبير بأسرها، بداية من رعاية واحتضان أنظمة الاستبداد وأنظمة استزراع وتصنيع الإرهاب والإرهابيين بالمنطقة، وليس انتهاء برعاية الإرهابيين رعاية مباشرة، خلال استخدامها لهم لمقاومة المد الشيوعي في أفغانستان وغيرها، لكننا لا نزمع في هذه السطور الحديث عن الماضي، الذي افتضح حمق السياسة الأمريكية خلاله، بعد أن دفع الشعب الأمريكي والإنسانية الثمن غالياً في تفجيرات نيويورك وغيرهامن عواصم.

نتحدث في هذه السطور عن الحاضر، والمشروع الأمريكي للتحديث، والذي تشير تطبيقاته الأولى إلى أنه سيقود المنطقة لكارثة، ليس من قبيل المبالغة أن نتخوف من أن تؤدي إلى إغراق المنطقة والعالم كله في بحور من الدماء والفوضى.

جاء يكحّلها عماها

سننحي مؤقتاً قضية العراق (لوضعيته الخاصة التي نتصور صعوبة تكرارها)، لنركز على ما يجري في التجربة الديموقراطية الفلسطينية برعاية أمريكية غربية، والتي أوصلت فلسطين إلى طريق مظلم ومسدود، لا نرى بعده إلا الفوضى العارمة المدمرة، وليس الفوضى الخلاقة التي بشرتنا بها رسول الحضارة والتحديث الآنسة كوندوليزا رايس!!

لسنا بالطبع ممن يحترفون نسبة فشلهم أو خطاياهم للآخرين أو بالتحديد لعدوهم الأيديولوجي، سواء الذين يفعلون هذا للدفاع والتعمية عن المجرمين الحقيقيين، أو الذين يدمنون هذا استسهالاً وقعوداً عن الفكر والعمل المخلص والجاد، ولكي نكون أكثر تحديداً ووضوحاً، فإننا نقر أن المنطقة وشعوبها ونظمها هي المسئولة بالكامل عن كل البلايا والنكبات التي تعانيها، ويعانيها من جرائها العالم المتحضر كله، لكن مقاربتنا هذه تنطلق من محاسبة القوى المتحضرة التي تتدخل بدافع الإصلاح، فإذا بها تفسد الأمر عليها وعلينا، بحيث ينطبق عليها المثل الشعبي: "جاء يكحلها عماها"، نحن إذن في مجال محاسبة الطبيب على أدائه، وليس تبكيت المريض على مرضه.

الهاوية نقطة بداية

تصلح الحالة الفلسطينية، بتجربتها الديموقراطية وما آلت إليه الأمور، لأن تكون نموذجاً لما يحدث وما يمكن أن يحدث في المستقبل في كثير - إن لم يكن كل - ما يسمى بالعالم العربي، وإذا بدأنا بالتشابه المعني في الملامح الرئيسة والملحة نجد ما يلي:

* أزمة سياسية تتمثل في لاديموقراطية النظام، وعدم كفاءة مؤسساته في أداء المهام الموكلة إليها.

* فساد يستشري في مؤسسات النظام والمجتمع، يترتب عليه ليس فقط نهب الثروات، وإنما إجهاض أي محاولة لتنمية اقتصادية واجتماعية حقيقية.

* تدهور الحالة الحضارية للمجتمع باختلاف عناصرها، إلى حد أن المنطقة تعيش بالفعل خارج العصر، ومتخلفة بقرون تتكاثر بمرور الأيام والشهور وليس السنين.

* أزمة اقتصادية تتمثل بالأساس في الخلل بين الإنتاج والاستهلاك، وما يترتب عليه من اعتماد على المعونات الخارجية، مع اختلاف درجة الاعتماد من حالة إلى أخرى، لكن الحالة الفلسطينية هي الحالة الأكثر تفاقماً.

* آزمة إلى حد الاقتتال مع آخر، وصل إلى تدويل الأمر، وقد يكون الآخر دولة كحالة فلسطين / إسرائيل، وسوريا/ إسرائيل، ولبنان/ سوريا، وقد يكون الآخر ضمن مكونات ذات الكيان، كحالة السودان/ دارفور، والمغرب/ البوليزاريو، والعراق/ الأكراد- الشيعة، في عهد ما قبل تحرير العراق.

● أزمة صراع داخلي بين مكونات ذات الكيان، مازال محصوراً في النطاق الداخلي، لكنه يثقل بوطأته على حياة المجتمع وفرص نموه وتقدمه، ويجعل الأمر أشبه بأن تلقي بإنسان في البحر طالباً منه السباحة وهو مكبل الذراعين والقدمين، بل ومثقل بأحجار ينوء بها كاهله، وهذا نجده في العراق ولبنان في صراع الطوائف، وفي سائر العالم العربي في مشاكل الأقليات، والحالة الأكثر سوءاً وفجاجة في فلسطين في فوضى الفصائل المسلحة المتنافسة المتطاحنة، بتأثيراتها المدمرة داخلياً وخارجياً.

● زمة فقدان الاستقلال الوطني ببعده الحقيقي وليس الظاهري، فاحتلال قوات التحالف للعراق، والاحتلال الإسرائيلي للضفة وقطاع غزة، هو عامل لا يساعد على نجاح محاولات التحديث وليس العكس، لأن التيارات المعاكسة للإصلاح تأتي من فقدان الاستقلال الوطني الناجم عن تدخلات مباشرة وغير مباشرة من منظمات ونظم الاستبداد والإرهاب بالمنطقة، والتي تسارع بالتكاتف - رغم تناقضاتها فيما بينها - لوأد محاولات التقدم في أي بقعة من المنطقة، وهذا واضح في العراق، وأكثر منه وضوحاً في لبنان، وفي المقدمة فلسطين، التي تعبث فيها جميع الأيادي، وتصب فيها من جميع الاتجاهات الدولارات والمتفجرات وأيديولوجيات الكراهية والعنف، كل يغني على ليلاه، وكل يحارب معاركه، على تلك الأرض التي يتشدقون بأنها مقدسة!!

● ستشراء أيديولوجيات الكراهية والعنف والتعصب الديني ورفض الآخر بجميع دوائره، والرواج الشعبي لهذه الأفكار (أياً كانت الأسباب)، إلى الحد الذي أصبحت فيه المجتمعات العربية هي معقل إنتاج الإرهابيين، الذين يهددون الأمن على مستوى العالم، وليس على مستوى المنطقة وحدها.

● انعدام أو هزال قوى التحديث والليبرالية في المنطقة، وانحصارها في مجرد دعوات فردية لرموز فكرية معزولة عن القاعدة الشعبية، لغرابة ومخالفة خطابها لمعظم السائد وشبه المقدس لدى الجماهير، علاوة على استبعادها - وفي أحسن الأحوال تهميشها - في وسائل الإعلام المختلفة، والتي يسيطر عليها إما النظام الحاكمة، التي تخشى أول ما تخشى دعوات الحداثة والليبرالية، أو تسيطر عليها فلول الفاشية العروبية التي تلفظ أنفاسها الأخيرة، لصالح دعوات السلفية الظلامية وخطاب الكراهية والتحريض، الذي صار وسيلة جميع وسائل الإعلام للرواج والجماهيرية، وفي مقدمتها القنوات التليفزيونية الفضائية، صاحبة التأثير الجماهيري الأعظم، في محيط الأمية الغالبة، ولم لا وقد صار هذا التوجه هو الطريق الوحيد لجلب التمويل المالي، سواء عبر الإعلانات أو عبر المنظمات والنظم صاحبة المصلحة؟

● أزمة الضغوط العالمية، التي حتمتها العولمة وتصدير المنطقة للإرهاب، والتي تدفع بإلحاح نحو التغيير السريع، في مقابل مقاومة داخلية شرسة، تتمثل في القوى صاحبة المصالح في بقاء الوضع على ما هو عليه (كالحكام وحواريينهم)، والقوى الرافضة لنوعية التغيير المطلوب (القوى السلفية والعروبية التي تدفع باتجاه التقهقر إلى قيم الماضي البعيد أو القريب)، بالإضافة إلى قوى القصور الذاتي، التي تمثلها الجماهير العريضة، التي إن تحركت نحو تغيير أفكارها وقيمها وعاداتها فببطء شديد.

تجربة ديموقراطية بائسة

إذا كانت البرجماتية هي عماد الفكر الأمريكي، ويمكن ولو ببعض التجاوز القول بأن أمريكا هي التي صدرتها للعالم، تلك الفلسفة التي تحكم على صحة القضية من خلال صلاحية النتائج المترتبة على تطبيقها، بغض النظر عن الحيثيات والمقدمات القبلية، التي تم عن طريقها استنتاج المقولات محل النظر، وإذا كان تطبيق آلية الاحتكام إلى التصويت الشعبي عبر صناديق الاقتراع، المنتسبة إلى التطبيق الديموقراطي، في أرض فلسطين، قد أثمر ما نراه من انتخاب منظمة حماس الإرهابية، لتكون ممثلاً للشعب الفلسطيني، وما ترتب على ذلك من تكاتف جميع الدول لحصار هذه الحكومة ومعها الشعب الضحية، فإن هذا يحتم منطقياً على الأقل أن نحكم بأن ما حدث من تطبيق يسمى بالديموقراطي، وما يمثله من توجه غربي لدفع الأمور بالمنطقة على ذات النهج، هو توجه فاسد وبائس.

لا يمكن أن نتوقف عند ذلك الحد، إذا كنا نؤمن بالديموقراطية وجدواها، فعلينا أن نتبين مكمن الخطأ فيما حدث:

من المعروف أن تطبيق فكرة صحيحة على أرض الواقع، يحتاج إلى شروط محددة يلزم توافرها، لتتاح للفكرة محل التطبيق مجالاً صحيحاً وصحياً، يسمح بالاختبار الجدي لصلاحيتها، وهذا عين ما لم يتوفر في الحالة الفلسطينية:

● آلية اللجوء إلى صناديق الاقتراع ليست في حد ذاتها هي الديموقراطية، فالديموقراطية هي توصيف سياسي لحالة ثقافية واجتماعية واقتصادية تسمى الحالة الليبرالية، وبدون توفر الشروط الضرورية للمجتمع الليبرالي، تفقد آلية اللجوء لصناديق الاقتراع معناها الأصيل، كما تفقد إمكانية تحقيق ما نصبو إليه، وما نعقده عليها من آمال في التحديث، بل وتصبح آلية حسابية يمكن أن تستخدم بواسطة أبشع النظم، لإنتاج أبشع النتائج، فالمجاهد الزرقاوي مثلاً يمكن أن يستخدمها مع مجلس شورى المجاهدين، لتقرير إلى أي المدن العراقية عليه أن يرسل فتيانه المتمنطقين بالأحزمة الناسفة، ويمكن أن يستخدمها النظام الحاكم في السودان لتقرير هل يذبح أهل دارفور أم يطردهم إلى خارج الحدود.

من الواضح أن المجتمع الفلسطيني قبل وبعد انتخابات المجلس التشريعي، أبعد من أن يمت بأدنى صلة للوصف بالليبرالية.

● الانتخابات عملية اختيار من بين بدائل مطروحة، ومن العبث أن نتوقع لنتائجها أن تأتي لنا بجديد غير مطروح بالأساس في الساحة، فماذا كان أمام الناخب الفلسطيني على مائدة الخيارات؟:

كان أمامه حماس، المنظمة الإرهابية التي تقدم له بعض الخدمات الاجتماعية والصحية والاقتصادية، في مقابل أن تجند أطفاله وفتيانه ليكونوا قنابل وألغام بشرية تفتك بالأبرياء وبالبراءة، في مقابل منظمة فتح، التي تمارس نفس الأعمال الإرهابية، وفوقها فساد مالي وإداري وخطاب سياسي مراوغ بألف وجه ووجه، ماذا كان هناك أيضاً على الساحة الفلسطينية غير الجهاد الأسوأ من الجميع، وفسيفساء فصائلية مسلحة، يغلب عليها أداء قطاع الطرق، فيما خلت الساحة تماماً من أي قوى ذات اعتبار، تدعو بقوة ووضوح للسلام والحضارة والتحديث، مع تقدير ممزوج بالعطف على بعض رموز فلسطينية مستنيرة، تهمس في خجل وخوف ببعض عبارات متحضرة، تسارع فتعقبها بعبارات حنجورية نمطية، خوفاً من أن تتعرض للاغتيال، قبل أن تكمل حديثها.

● يستلزم لنجاح عملية الاقتراع أيضاً إدراك الشعب لطبيعة مبدأ حرية القرار، إدراك ما يترتب على حريتك في أن تختار ما ومن تشاء، فالوجه الآخر من الحرية هو المسئولية، إنك عندما ستكون مسئولاً عما يترتب على اختيارك الحر، فإن اخترت القتل والقتلة، فعليك أن تكون مستعداً للمطاردة حتى تودع حيث تلقى جزاءك، وإن اخترت البناء والبنائين، فسوف تجني ثماراً من ذات النوعية.

لا يكفي لتوفير هذا الشرط أن تصدر إسرائيل وأمريكا بضعة تصريحات قبيل الانتخابات، عن رفضها للتعاون مع حكومة تشارك فيها حماس، فلكي يتوفر هذا الشرط حقيقة، يحتاج الأمر لنشر الوعي بين البسطاء بطبيعة مناخ الحرية، المرتبط عضوياً بالمسئولية عما يترتب على ممارسة الاختيار الحر، ونشر الوعي هذا لا يتم بين عشية وضحاها، بل يتم ببطء وعلى مهل، بداية بالممارسات اليومية العادية للإنسان الفرد، صعوداً إلى ما هو أهم وأخطر، لينتهي أخيراً باختيار نظام الحكم.

يمكن ولو على سبيل المجاز تصور مفهوم الفلسطينيين والعرب جميعاً، لما ينبغي أن يترتب على الاختيار الحر للشعب الفلسطيني، وقبول العالم الغربي به، أنه إذا ما اختار الشعب القتلة وتوجهاتهم، فإن على الغرب خضوعاً لمبادئ الديموقراطية أن يستمروا في ضخ الدولارات لحماس، لتحول الشعب الفلسطيني كله إلى قنابل بشرية، بل ويقتضي الخضوع للديموقراطية أيضاً أن يعد الإسرائيليون حقائبهم للرحيل عن فلسطين من البحر إلى النهر، ولا بأس أن يعد أعداد منهم أعناقهم للذبح بصفقتهم يهوداً أعداء الله، فأي مقاومة اقتصادية أو سياسية أو عسكرية لحماس المختارة ديموقراطياً من الشعب الفلسطيني، يعد تنكراً للديموقراطية التي صدعنا الغرب بالحديث عنها!!

● يلزم لأي فرد يتقدم لشغل وظيفة أن يقدم بعض المستندات الضرورية، والتي بدونها لا يدرج اسمه في عداد المتنافسين على شغلها، وأول هذه المستندات شهادة حسن سير وسلوك، وصحيفة الحالة الجنائية، والمؤهلات الدراسية، والخبرات السابقة في المجال، تطلب هذه المستندات جميعها مهما كانت بساطة الوظيفة أو حتى تفاهتها، أما في قوائم المتنافسين على وظيفة ممثل الشعب الفلسطيني في المجلس التشريعي، فلقد أدرجت أسماء أعضاء حماس، وكثيرون من فتح وغيرها، فيما تقول مستنداتهم:

حسن السير والسلوك: سيئ في جميع المجالات.

صحيفة الحالة الجنائية: قاتل أو محرض على القتل.

المؤهلات الدراسية: جاهل فيما يتعلق بالمجال.

الخبرات السابقة: لا شيء أو خبرات فاشلة.

أي عملية اختيار من بين مثل هؤلاء المتقدمين، هي عملية فاشلة ومهزلة، سواء كانت عملية الاختيار ديموقراطية أم غير ديموقراطية.

الصعود إلى الهاوية

نصل الآن إلى النتيجة التي نعرفها جميعاً، فهل يمكن أن يقال عنها أن سلبيات التطبيق الديموقراطي لا يعالجها إلا المزيد من الديموقراطية؟ نقول أن القول صحيح ينطلق من أرضية فاسدة، وهو بهذا لا يمكن أن يؤدي إلا إلى المزيد من الفساد، فهذا التوصيف يكون صحيحاً لو توافرت الشروط اللازمة للتطبيق الديموقراطي بحدها الأدنى، فعندها فقط يمكن الارتكان إلى تعميق الديموقراطية وتصحيحها لنفسها.

لقد دفعت الإدارة الأمريكية الشعب الفلسطيني إلى ورطة ما بعدها ورطة، ثم تقوم بمحاصرة حماس، فيما المحاصر الحقيقي هو الشعب المسكين، فرموز حماس لن يضيرهم شيء، وسيظلون يتقافزون على جميع الأغصان، مرددين تصريحاتهم ووعيدهم الأسود، حاملين حقائب مترعة بالدولارات، يدسونها في الحسابات السرية، أو تسرق منهم في الفنادق دون أن يجرؤا على إبلاغ البوليس، كما حدث أخيراً مع كبيرهم في دولة عربية، ليبقى الشعب الفلسطيني يرزح تحت نير عناصر الجهل والجهالة الداخلية، وفوقها توجيهات من قوى عظمى، تمتلك المؤسسات ومراكز البحوث، التي من المفترض أن تتيح لها تقييم الأمور تقييماً صحيحاً، لكنها على العكس، ترتكب أفظع الجرائم في حق نفسها وفي حق شعوب المنطقة، وفي حق الإنسانية جمعاء.

* عن ((شفاف الشرق الأوسط))

اليوم العالمي لحرية الصحافة.. يا قلبي لا تحزن

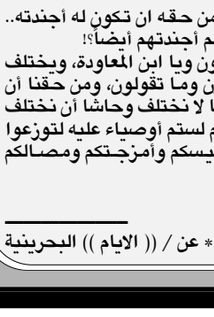

سعيد الحمد *

بلا شك أنها مفارقة مؤسية لكنها لن تكون مؤسفة لنا أبداً نحن الكتاب والصحفيين الأحرار الذين لن نركع ولن نخضع لوصايا المتشددين في المنبر الاسلامي ولابن المعاودة الذين يضغطون كي تتنازل لهم عن حرية التعبير التي كفلها لنا الدستور والميثاق.

في الوقت الذي احتفل العالم باليوم العالمي لحرية الصحافة تتعرض صحيفة ((الأيام)) البحرينية وكتابها وصحفيوها لأبشع محاولة اسكات وتكميم.. فقط لأنها لم تجامل ولم تنافق ولم تهادن المتشددين والمتطرفين والمتزمتين الذين يحاولون فرض أجندتهم الخاصة على البلاد.

هل بلغت الكهانة بهم هذا المبلغ غير المعقول لان يتصوروا أنفسهم المسلمين الوحيدين في البحرين ومن يخالفهم فقد خالف شرع الله؟؟

هل هم الاسلام.. وهل هم الشرع وهل هم الدين.. أم هم الكهنوت الأعظم الذي لا يريد أن ينافسه في كهانة المعبد أحد؟؟!!

في اليوم العالمي لحرية الصحافة.. الذي يصادف اليوم.. يخرج علينا المنبريون الاسلاميون وابن المعاودة في مقدمة ركبهم بعد أن زجوا به في المقدمة.. ليعلنوا للناس في بلادنا وصايا كهنة آمون.. فكل من قال لهم »لا« فهو كافر وآثم وغير مسلم..!!!

ولماذا يقحم المنبريون وعادل المعاودة معهم »الدين« في هذه المسألة، ولماذا يشوهون حقيقة الاختلاف المشروع؟

هل من يختلف مع جماعة المنبر ومع ابن المعاودة يعتبر مختلفاً ومخالفاً للدين والاسلام؟؟!!

أية فرية يدعون، فهل هم المسلمون الوحيدون في البحرين حتى يعتبروا الخلاف معهم خلافاً مع الاسلام؟!

هل وصل الادعاء باحتكار الدين والاسلام عليهم وحدهم الى هذه الدرجة التي ينادون فيها باسكات كل مخالف لهم ويتهمونه بأنه مخالف للاسلام..؟!

لسنا ضد الدين.. ولسنا ضد الاسلام ولسنا ضد العقائد الدينية ولن نكون.. ولكننا بالقطع ضد استغلال الدين وضد استغلال الاسلام لفرض مشروع خاص بجماعة تحمل لافتات دينية لتمرير مشروع دنيوي خالص من حق جميع التيارات الوطنية ان تختلف معه وأن تطرح أفكارها ورؤاها بحرية دون ان يقمعها القامعون باسم الدين.. والدين من هذا القمع براء.

واذا كان المنبر الاسلامي يعتقد ان من حقه ان تكون له أجندته.. فلماذا يصادر حق الآخرين بأن تكون لهم أجندتهم أيضاً؟!

نختلف معكم أيها المنبريون الاسلاميون ويا ابن المعاودة، ويختلف معكم المواطنون على خلفية ما تطرحون وما تقولون، ومن حقنا أن نسألكم عما تفعلون وعما تقولون.. لكننا لا نختلف وحاشا أن نختلف مع الدين ومع الاسلام.. الذي نعرف أنكم لستم أوصياء عليه لتوزعوا صكوك الادانة والغفران بحسب مقاييسكم وأمزجتكم ومصالكم الشخصية.

* عن / ((الايام)) البحرينية